

ظاهرة التناص في العربية: دراسة وصفية في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي

3007

د. فهد بن عبد الحميد مر عمر^١

fahed@kuis.edu.my

د. أسماء بنت محمد عثمان المحمدي^٢

umfaisal@iium.edu.my

ملخص البحث

تسعى الورقة إلى بيان حقيقة مفهوم التناص في العربية، حيث يعد من المفاهيم السيميائية الحديثة التي أدخلت في الخطاب النقدي، وأخذ مكانته في الساحة النقدية الحديثة، وقد كان المصطلح من أصل غربي، إذ يأخذ أشكالاً مختلفة في مسميات شتى، وتهدف الورقة إلى بيان هذه الظاهرة وتنوع مسمياتها فضلاً عن ما ذكرها الحاتمي في كتابه، ولتحقيق هذا الغرض سيعتمد البحث المنهج الوصفي في بيان ما يتعلق هذه الظاهرة من توضيح المفهوم وإشكالاته، وإبراز نبذه عنه، وذكر أنواعه المتوفرة في الشعر، وسيقتصر البحث على توضيح بعضاً من النماذج الشعرية حول ظاهرة التناص في كتاب "حلية المحاضرة في صناعة الشعر" للحاتمي، ومختتماً بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، منها: أن التناص ظهر كمصطلح للمرة الأولى على يد جوليا كريستيفا وهي ترى أن كل نصّ هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نصّ هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى، فالنصّ الجديد ما هو إلا إعادة إنتاج لنصوص سابقة أو معاصرة، وأما في النقد العربي القديم فنلاحظ أن الحاتمي امتاز في تقديمه للسراقات الشعرية بكونه يبحث في الشعر بحثاً شمولياً عن المبدع والمتبع والسابق واللاحق، وذلك بتركيزه على المصطلحات فيمن سبق إلى القول ومنّ لاحق، ثم يصنف تلك المصطلحات على الشعراء، بحيث يضبط مواقعها في السراقات الشعرية، وقد صنّف للتناص أو ما يسميه هو بـ السراقات والمحاذات بتصنيفات مختلفة نحو: الانتحال والاجتلاب والاهتدام وغير ذلك من المسميات التي عرفت في عصره، فضلاً عن ذلك

^١ مركز الدراسات العامة، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور - ماليزيا

^٢ قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

فقد وضح لنا الحاتمي أن السرقة أو وقوع ظاهرة التناس في العربية قديماً يتم في المعاني، كما يتم في الألفاظ المبتدعة، بحملها للمعنى المجازي، وكذلك يتم في الالمام بكلام السابق، أو بملاحظة المعاني، ثم نسجها على غرارها.

الكلمات المفتاحية: التناس، السرقات الأدبية، الانتحال والاستلحاق، المرادفة، الاجتلاب.

أولاً: مفهوم التناس في العربية

إن التناس في أبسط صوره هو بيان علاقة النص الحالي بنصوص أخرى تشابهه وتتفق معه في كثير من الأحيان، والهدف من ذلك هو إنتاج النص الأدبي من نصوص أخرى سابقة لتوليد دلالات جديدة بالتفاعل والتشابه مع نصوص أخرى، فقد ذكرت في المعاجم العربية لمادة "نص" معانٍ عدة منها : نص الحديث رَفَعَهُ وأسنده إلى المحدث عنه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السَّيَر، والشيء حرَّكه، ومنه فلان ينصُّ أنفه غضباً، وهو نصَّاصُ المتاع: جعل بعضه فوق بعض. وفلاناً استقصى مسأله عن الشيء، والعروسُ أقعدها على المنصة وهي ما تُرفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشَّواء ينصُّ نصيصاً: أي صَوَّت على النار، والقدر: غلت، ونصَّصَ غريمه وناصَّه استقصى عليه وناقشه، وانتصَّ: انقبضَ وانتصبَ وارتفعَ، ونصَّصَه حرَّكه وقلقله، والبعر أثبت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض.^٣ بينما في مادة "نصص"، فجاءت (التناس) بمعنى ازدحام الناس، وفي مجال الأدب، هو مصطلح نقدي يقصد به وجود تشابه بين نص وآخر، أو بين عدة نصوص.

إذن يتبين لنا من المعاني اللغوية السابقة أن مادة (نص) التي تعكس استخداماً واسعاً في حقول ومحاور متعددة، مثل: نصَّ الحديث إليه أي رفعه إليه، وانتصَّ أي ارتفع وانتصب وانقبض. أما الحركة: نحو: نصَّ القدر أي غلت، ونصَّ العروس وضعها على المنصة، وأما الإسناد: كقولنا: نصَّ القول إلى صاحبه أي أسنده إليه. فكلمة "النص" تفيد معنى الرِّفَع

^٣ انظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ت.)، وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤)، مادة (نص).

والإظهار، أي يلزم للمتحدث أو المرسل من إظهار النص ورفعته؛ لأجل إدراك المستمع أو المتلقي
لأكبر وحدة لغوية، ويتبنى د. صبحي الفقي تعريف (بيوجراند *Beaugrand*) في دراسته للتماسك
النصي، الذي يرى أن النص حدث تواصل يُلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير إذا تخلف
واحد منها تنتزع من النص صفة النصية، و من أحد هذه المعايير التناص (*Intertextuality*).^٤

فقد تعددت تعريفات التناص *IntertextualitY* ومعانيه وأشكاله وآلياته من ناقد لآخر، ومن
مذهب نقدي لآخر، فهو مصطلح نقدي حديث ظهر مؤخراً من الدراسات النقدية الغربية،
وأخذ مكانته في الساحة النقدية العربية، وهو يعني: حدوث علاقات تفاعلية بين نص وآخر، أو
بين نص ونصوص أخرى، ويقصد كذلك بأنه علاقة حضور متزامن لنصين أو أكثر، داخل إطار
نصي واحد، سواء حرفياً وتنصيماً أو بالإشارة، كأن يستشهد الكاتب بيت من الشعر القديم،
أو آيات من القرآن الكريم، وتعددت التيارات والمذاهب النقدية التي تبنته،^٥ وقد ولد هذا
المصطلح على يد جوليا كريستيفا عام ١٩٦٦م والتي استنبطته من باختين، حيث وضع تعددية
الأصوات والحوارية دون أن يستخدم مصطلح (التناص)، ثم احتضنته البنيوية الفرنسية وما بعدها
من اتجاهات سيميائية.^٦

وهناك مفاهيم عدة للتناص، حيث يذهب بعض الباحثين إلى تكثيرها رغبة في الوصول إلى
أدق جزئيات هذا المصطلح الجديد، ومن هذه المفاهيم:^٧

١- التناص: *INTERTEXTULITY* ظهر كمصطلح للمرة الأولى على يد جوليا كريستيفا

وهي ترى أن: "كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب
وتحويل لنصوص أخرى".

٢- التفاعل النصي: بين بنيتين: بنية النص، والبنيات النصية، لا يكون مباشراً دائماً، فقد

يكون ضمناً عندما ينتج نص ما حاملاً صور نصوص أخرى من خلال تبنيه الجديد.
و (التفاعل النصي) مصطلح يؤثره بعض النقاد على مصطلح (التناص).

^٤ انظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، (القاهرة: دار قباء، ط ١، ج ١، ٢٠٠٠)، ص: ٣٣-٣٤.

^٥ انظر: وليد الحشاش، دراسات في تعدي النص، (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٤م)، ص: ١٥.

^٦ انظر: محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، (حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٨م)، ص: ٦٠-٦١.

^٧ انظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠١م)، ص: ٩٧-٩٩.

٣-البنيات النصّية: حيث ينتج كل كاتب نصوصه ضمن بنية نصّية معاصرة له، أو سابقة عليه.

٤-التعالق النصّي: *HYPERTEXTUALITY* الذي يرى أن النصّ اللاحق يكتب النصّ السابق بطريقة جديدة.

٥-المناسّ *PARATEXTE* وهو ما نجده في العناوين، والمقدمات، والخواتم، وكلمات الناشر، والصور.

٦-المصاحبات الأدبية *PARA LITERATURE* هي الاستشهادات الأدبية التي تدخل في بنية نصّية معينة.

٧-التناسّية: هي مجموعة من العلاقات التي نراها بين النصوص. وهي تتجاوز قضية التأثير والتأثير إلى أمور تتعلق بالبنية والنغم والفضاء الإبداعي.

٨-المتناسّ *INTERTEXT* هو مجموعة النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ سواء كانت في ذاكرة الكاتب أو القارئ، أم في الكتب. وهو النصّ الذي يستوعب عدداً من النصوص، ويظل متمركزاً من خلال المعنى (لوران جيني)، بينما يناقش ريفاتير الخلط السائد بين (التناسّ) و (المتناسّ)، فيرى أن (المتناسّ) هو مجموع النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ الموجود تحت أعيننا، أو مجموع النصوص التي نجدتها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين.

٩-المتعالقات النصّية: *TRANS TEXTUALITY* هي كل ما يجعل نصّاً يتعالق مع نصوص أخرى، بشكل ضمني أو مباشر. وقد خصص لها جيرار جينيت كتاباً بأكمله حدد فيه أنماط (المتعالقات النصّية) في خمسة أنواع هي: النصّ ومعمارها، والتّناسّ، والميتانصّية، والمناسّ، والتعلق النصّي. وهذه الأنواع تتداخل فيما بينها. والتّناسّ نوعان:^٨ تناسّ داخلي، وتناسّ خارجي.

➤ فالتناسّ الداخلي هو حوار يتجلى في (توالد) النصّ وتناسله، وتناقش فيه: الكلمات

^٨ انظر: محمد عزام، تجليات التناس في الشعر العربي، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١م)، ص ٣١.

المفاتيح أو المحاور، والجمل المنطلقات والأهداف، والحوارات المباشرة وغير المباشرة. فهو إعادة إنتاج سابق، في حدود من الحرية.

➤ وأما التناصّ الخارجي فهو حوار بين نصّ ونصوص أخرى متعددة المصادر والوظائف والمستويات. واستشفاف التناصّ الخارجي في نصّ عملية ليست بالسهلة، وعلى الخصوص إذا كان النصّ مبنياً بصفة حاذقة. ولكنها مهما تسترت واختفت فإنها لا يمكن أن تخفى على القارئ المطلع الذي بإمكانه أن يعيدها إلى مصادرها. وإذن فإن هناك نصّاً مركزياً يتجلى في النصوص السابقة، ونصوصاً فرعية تتمثل في النصوص اللاحقة، بينما يرى الزعبي بأن التناصّ أنواع مختلفة، نبينها بصورة مختصرة، ومنها:⁹

أ) التناصّ المباشر:

- التناصّ التاريخي.
- التناصّ الديني.
- التناصّ الأدبي.

ب) التناصّ غير المباشر:

- تناقض الأفكار والمعاني.
- تناقض اللغة والأسلوب.

هكذا يبدو التناصّ علاقة تفاعل بين نصوص سابقة، ونصّ حاضر، أو امتصاص كل نصّ وتحويل لكثير من نصوص أخرى، بمعنى التعالق أي الدخول في علاقة نصوص مع نصّ، حدث بكيفيات مختلفة، فالنصّ الجديد هو إعادة إنتاج لنصوص سابقة أو معاصرة، قابعة في الوعي واللا وعي، الفردي والجماعي.

ثانياً: التناصّ في النقد العربي القديم:

⁹ انظر: أحمد الزعبي، التناصّ نظرياً وتطبيقياً، (عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ص ٢٧-٨٥.

إن مصطلح التناصّ هو الذي انتشر وساد، بعد أن استفاض الحديث مؤخراً عن المناهج النقدية الأسلوبية والألسنية والبنوية والسيمائية عند نقاد العرب، ولم يتفق المترجمون العرب المعاصرون بعد على تعريف مصطلح (التناصّ) فمنهم يعرّبه (التناصّ) وبعضهم (التناصّية)، وآخرون بـ(النصوصية)، وهناك من يعرّبه بـ(تداخل النصوص)،^{١٠} ولهذا المصطلح ظهورات عديدة في التراث النقدي القديم، وبأسماء مختلفة، فقد ذكر ابن رشيق في كتابه "العمدة" أن لا يستطيع أحد من الشعراء أن يدعي السلامة من سرقة الشعر، وهذا الباب متسع وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وكذلك بين أن السرقة (التناصّ) يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، حيث يقول: "واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات...".^{١١}

وقد وردت في كتب التراث النقدية القديمة مصطلحات عديدة تشابه مصطلح التناصّ في المجال البلاغي نحو: التضمنين، والتلميح، والاقتباس، وفي الميدان النقدي مثل: المناقضات، والسرقات، والمعارضات، وكلها تقترب قليلاً أو كثيراً من مفهوم التناصّ، إذ يشير ابن سنان الخفاجي في كتابه: (سرّ الفصاحة)، إلى حضور شعر القدماء في شعر المحدثين، وإن ذلك لا يعطي أفضلية لشعر قديم على شعر محدث إلا بالجودة الفنية، كما يشير إلى إدراك بعضهم لـ(التداخل الدلالي)، الذي يرى أن جميع معاني المحدثين إنما تستند إلى معاني القدماء. وقد ذهب النقاد العرب القدماء إلى أن ظاهرة "تداخل النصوص" وبخاصة في الخطاب الشعري تعددت فيه مجموعة من المصطلحات التي تدقق في جزئيات التداخل، وتضعها داخل إطار اصطلاحى لتمييزها عما سواها، ورصدوا طرق ممارستها، من منظور بلاغي، على اعتبار أن البلاغة كانت هي العلم الأحدث الذي يزيد في جماليات الشعر، فهي علم تقيمي قبل أن تصبح تعليمية. وبهذا يلاحظ أن النقد العربي القديم أشار إلى "تداخل النصوص"، وإن لم يحدده باسمه المعاصر، ولكن بمسميات مختلفة نحو: التضمنين، والاستشهاد، والاقتباس، والسرقات الشعرية أيضاً كان

^{١٠} انظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناصّ، (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٥م)، ص ١٢٠-١٢١.

^{١١} انظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع، ط ٥، ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٢٨٠-٢٨٢.

لها مَنْ فهمها على أنها تأثر لا أخذ، واستمداد وإعادة إنتاج ضروري على أساس النصّ السابق، ويمكن القول إن ظهور التناصّ في النقد العربي القديم وجدت في حقل البلاغة، والنقد الأدبي. ويرى النقاد العرب أنه لا تداخل نصّياً في النحو والصرف وقواعد الإعراب، لأنه ليس في شيء من ذلك خصوصية ترتبط بالمبدع.^{١٢}

ثالثاً: التناص في كتاب "حلية المحاضرة للحاتمي" ابن المظفر الحاتمي:

هو أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي، الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي نسبةً إلى أحد أجداده ، ولد في سنة ٣١٠هـ، عاصر أبو علي عدد من الشعراء، وتأثر وأخذ عن أبي عمر الزاهد وابن دريد على وجه الخصوص، ولم يكن أبو علي الحاتمي مشهوراً حتى اتصل بأبي محمد الحسن المهلب، كاتب معز الدولة، فذاع صيته في الأوساط الأدبية والسياسية، وفي سنة ٣٥٠هـ التقى الحاتمي بأبي الطيب المتنبي في بغداد، وناظره في معاني شعره، وألّف بعدها رسالةً يعقد فيها مقارنةً بين معاني أبيات المتنبي والحكم المنسوبة إلى فلسفة أرسطو اليونانية، تُوفي أبو علي الحاتمي في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ ، كان من حذاق أهل اللغة والأدب، وواسع الاطلاع، وكثير الحفظ شديد العارضة في الجدل والمناظرة، وله مصنفات عدة، منها: حلية المحاضرة، سر الصناعة، الرسالة الناجية، الرسالة الحاتمية، كتاب الشراب وغيرها.^{١٣}

رابعاً: كتاب "حلية المحاضرة للحاتمي"^{١٤}

^{١٢} انظر: عزام، تجليات التناص، ص٤٢.

^{١٣} انظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨١م)، ج٢، ص٥٦٩-٥٧٢.

^{١٤} انظر: أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكتاني، (بغداد: دار الرشيد للطباعة والنشر، ١٩٧٩).

قدّم الحاتمي في كتابه (حلية المحاضرة في صناعة الشعر) بمقدّمة نقدية مهمة، بدأها بشروط الكلام البليغ وأسباب علوّه وتميّزه، ثم استعرض أنواع البديع في العربية واعتبرها ميزة لها على سائر اللغات الأخرى، وانتقل إلى الكلام عن البلاغة في الشعر والنثر، حيث قدّم الشعر على النثر، ثم عرض الحاتمي موضوعات الشعر، مثل وصف الطلول والآثار والبكاء على معالم الديار، بالإضافة إلى الأغراض الشعرية التي عرضها الشعراء في شعرهم، وختم الحاتمي مقدمته بعرض أسباب تأليفه الكتاب: "وقد رأيت أن أفتّح كتاباً أشرّع فيه لمحاسن الشعر، شريعة ترد القريحة مائها،..."^{١٥}، وعرض الحاتمي موضوعات كتابه ومنهجه في التأليف، حيث قسم كتابه تسعة فصول مختلفة في صناعة الشعر، وخصص باب السرقات والمحاذاة في الفصل الخامس من كتابه، والذي عالج فيه ظاهرة السرقات الشعرية باستفاضة مهمة ومصطلحات دقيقة محددة، حيث يقول: "وقد زعم قوم ممن يحسن هذه الصناعة، أنه لا اجتلاب ولا استعارة، وأن الكلام كله مشرع للجميع، والألفاظ مباحة، ولو كان كما قالوا: اللفظة فضيلة السابق ومقالة المتقدم، لما تعاريت الشعراء بالسرقة والاجتلاب، ألا ترى إلى قول جرير يخاطب الفرزدق:

ستعلم من يكون أبوه قينا ومن عرفت قصائده اجتلاباً

وإلى قول ابن ميادة:

قسنى إلى شعراء الناس كلهم وادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا

وإلى قول الآخر:

فإن نظموا قالوا بما قيل قبلهم وإن وردوا جاؤوا خلاف الصوادر

ويضيف أبو علي أنه سمع أبا الحسن النوفلي يقول: سمعت أحمد بن أبي طاهر يقول: "كلام العرب ملتبس ببعضه ببعض، وأخذ أواخره من أوائله، والمبتدع منه والمخترع قليل، إذا تصفحته وامتحنته، والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعراً من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذاً من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل طريق الكلام، وباعد في

^{١٥} انظر: الحاتمي، حلية المحاضرة، ج ١، ص ١٣٠.

المعنى، وأقرب في اللفظ، وأفلت من شبك التداخل، فكيف يكون ذلك مع المتكلف المتصنع والمعتمد القاصد "١٦، وقد صنف الحاتمي مصطلحات السرقة كما يلي:

● **الانتحال والاستلحاق:** ١٧ بأن يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر وينسبها إلى نفسه، قال

أبو علي: أخبرني أبو الحسن البصري قال: أخبرني أبو خليفة أبو الفضل الجمحي أن بني سعد بن زيد مناة، تزعم أن هذا البيت لرجل منهم يقال له سعد:

فلمست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب

قال: وأنشدني حلابس العطارى وقال: أخبرنا خلف الأحمر قال: إن أعراب بني سعد تقول ذلك. وحكى أبو محمد التوزي أن زهيراً استلحق قول الخوات السعدي:

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

● **الانحال:** ١٨ أن يقول شاعر أو راوية قصيدة، ينحلها شاعراً آخر، بمعنى آخر أن ينسب

الشاعر أو الراوية إلى غير قائله، قال أبو علي: أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الكاتب قال: أخبرنا إبراهيم بن عرفة قال: سمعت المبرد يقول "كان خلف الأحمر عجيب الذهن، حسن التصرف في أساليب الشعر، وكان مع اقتداره واتساعه يعد مقللاً لما كان ينحله الشعراء المتقدمين كأبي دؤاد والشفري وتأبط شراً، ومن لا شهرة له من الشعراء، قال: وكان أتى الكوفة فأقرأ أهلها أشعار أبي دؤاد، ونحله شيئاً كثيراً لم يقله، وأخذ منهم على ذلك البر الجزيل ثم تنسك فعاد إليهم، فأخبرهم بما كان منه في إنحال هؤلاء الأشعار، وأن كثيراً مما نسبته إلى أبي دؤاد ليس له، وإنما أنحله إياه من قوله "وهو" فلم يعرجوا على كلامه".

● **الإغارة:** ١٩ حيث يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم، الأبيات الرائعة، بدرت من

شاعر عصره، وباينت مذهب، أمثالها من شعره، وتكون تلك الأبيات بالشاعر المغير

١٦ انظر: الحاتمي، حلية المخاضرة، ج ٢، ص ٢٩.

١٧ انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠.

١٨ انظر: نفسه، ج ٢، ص ٣٥.

١٩ انظر: نفسه، ج ٢، ص ٣٩.

وطريقته أليق. فيستنزل قائلها عنها قسراً أو مصافحة بفضل "الإغارة" فيسلمها إليه، اعتماداً لسلمه، ومراقبة لحربه، وعجزاً عن مساجله. يقول: أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي سهيل قال: أخبرنا بعض أصحابنا أن الفرزدق وقف على "الشمردل اليربوعي" وهو ينشد لنفسه:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير جز الغلاصم
فقال الفرزدق لتتركه، أو لتترك عرضك، فقال الشمردل له، خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي يهجو فيها جريراً:

نحن إلى زور اليمامة ناقتي حين عجلول تبتغي البورائم
• تنازع الشعارين: ^{٢٠} أي تنازع في قول واحد منهما أن ذلك من قبله دون صاحبه. يقول: وأخبرنا أبو عمر عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة قال أخبرنا منتج بن نبهان النمري العدوي قال دخل عمر بن لجأ على ابن لقمان الخزاعي وكان على صدقات الرباب فأنشده بيتاً وهو:

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبخل
فقال: لقد أنشدني هذا البيت جرير، فقال عمر: لقد سرقه مني جرير، قال فبينما هو عنده إذ دخل عليه جرير، فقال له ابن لقمان: من يقول هذا البيت؟ فقد زعم عمر بن لجأ أنك سرقته منه، فقال جرير: أنا أسرقه منك؟ وأنت وصفت فحلها "كالضرب الأسود من ورائها"، فقال عمر ابن لجأ: أتعيب هذا علي وأنت القائل:

وأكرم عند المردفات عشية لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع
فتركتهن حتى ألحقن، أي نكحن، ولحقتهن عشية، أي قد كان ينبغي لك أن تحميهن قبل أن يسبين وينكحن، ثم يلحقهن عشية، فقال جرير:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يلقيكم في سوءة عمر
أحين صرت سناماً يا بني لجأ وخاطرت بي عن أحسابها مضر

^{٢٠} انظر: الحاشي، حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٤٢.

- **المعاني العُقم:**^{٢١} وهي الأبتكار المبتدعة، أو المعاني التي يسبق الشاعر غيره إليها، ويتعاورونها بعده، ويغيرون على بعض ما فيها من بدائع مبتكرة، كقول "طرفة":

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لك الطول المرخي وثياه في اليد

فمن التشبيه البديع الواقع، واللفظ النفي الرائع، الذي لا يدركه شاعر ولا يتقدمه مثل سائر، وهو أول من ابتكره، فقال الراعي وقصر عنه:

لعمرك إن الموت يا أم سالم قرين محيط حبله من ورائنا

- **الموارد:**^{٢٢} وهي التقاء الشاعرين يتفقان في المعنى، ويتواردان في اللفظ، ولم يلق أحدٌ

منهما صاحبه، ولا سمع بشعره. ويقول: أخبرني أبو أحمد عيسى بن عبد العزيز قال أخبرني عبد الله بن جعفر قال: سألت أبا سعيد محمد بن هريرة النحوي الأسدي عن هذه الأبيات وهي أبيات امرئ القيس:

عيناك دمعهما سجال كأن شأنيهما أو شال

أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته مجال

وقول عبيد:

عيناك دمعهما سرروب كأن شأنيهما شعيب

أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته قسيب

فقال: لا أجد نفسي سريعة إلى التصديق بأن العقول في مثل هذا تتوافق، وعبيد وامرؤ القيس كانا في زمن واحد.

- **المُرافدة:**^{٢٣} حيث يتنازل الشاعر عن بعض أبيات له، يرفد شاعراً آخر، ليغلب خصماً

له الهجاء. يقول: أخبرني علي بن هارون المنجم قال أخبرني أبو أحمد يحيى عن أبي الحسن علي بن محمد بن عمر الجرجاني قال: حدثنا بعض أهل العلم قال: مر ذو الرمة بجرير، فقال له: يا غيلان، أنشدني ما قلت في المرئي فأنشده:

^{٢١} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣.

^{٢٢} انظر: الحاشي، حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٤٥.

^{٢٣} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩.

نبت عيناك عن صلل مجزوى عفته الريح وامتنح القطارا

فقال له: ألا أعينك فيها وأرفدك؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمي، فقال جرير:

يعد الناسون إلى تميم بيوت المجد أربعة كباراً

يعدون الرباب وآل سعد وعمرأ ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً كما ألفت في الدية الحوارا

فمر ذو الرمة بالفرزدق، فقال له أنشدني ما قلت بالمرئي، فأنشده، فلما انتهى إلى هذه الأبيات قال: حسن والله لا بارك فكاك، هذا أبدأ، هذا شعر ابن المراغة، هذا شعر جرير.

● الاجتلاب:^{٢٤} وهو أن يجتلب الشاعر بيتاً لشاعر آخر، لا عن طريق السرقة، بل على

طريق التمثيل به. فأما جرير فعير به الفرزدق في قصيدته التي هجاه فيها، وهجا الراعي

وبني نمير قال أبو عبيدة: وكان جرير يسميها "الدعامة"، فقال:

ستعلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائده اجتلاباً

وما أراه أراد بالاجتلاب ها هنا إلا السرقة والانتحال.

● الاصطراف:^{٢٥} وهو صرف الشاعر إلى أبياته، وقصيدته بيتاً، أو بيتين، أو ثلاثة لغيره،

فيضيفها إلى نفسه، ويصرفها عن قائلها، وكان كثير كثيراً ما يصطرف شعر جميل إلى

نفسه ويهتدمه، وعن عبد الله بن أبي عبيدة، أن كثيراً أنشده قصيدته التي يقول فيها:

نظرت وأعلام الشربة دوننا فرق المروري الدانيات وسودها

فاصطرف فيها بيت جميل:

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا إذا هي لم يصلب على الري عودها

قال: وهذا البيت بأسره لجميل، ثم قال: إن كثيراً أنشده قصيدته التي أولها:

ألا ... تودع على شمط النوى إذا تودع

وقال كثير مصطرفاً من "جميل":

^{٢٤} انظر: الحاشي، حلبة المحاضرة، ج ٢، ص ٥٨.

^{٢٥} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١.

وفيهن مهضوم حشاها نفية من السوء تحميها الحدود بمقرع

قال وهذا البيت بأسره جميل.

- **الاهتدام:** ^{٢٦} وهو أن يأخذ شاعر بيتاً لآخر، فيُغيّر فيه تغييراً جزئياً. وهو افتعال من الهدم، فكأنه هدم البيت من الشعر، تشبيهاً بهدم البيت من البناء، لأن البيت من الشعر يسمى بيتاً لأنه يشتمل على الحروف كما يشتمل البيت على ما فيه. ويقول أبو علي: وأخبرنا النوفلي قال: كان ابن هرمة يهتدم كثيراً من شعر كثير عزة، ويتبع آثاره في المديح والنسيب. وأخبرنا الحكيمي قال أخبرنا ثعلب عن الزبير قال أخبرنا أبي جدي أن الفرزدق لقي كثيراً فقال: ما أشعرك يا كثير في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

يعرض بأنه اهتدمه من قول جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي على كل مرقب

فقال له كثير: أنت أشعر الناس يا فرزدق في قولك:

تري الناس ما سرنّا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال: وقال لي: "هذا البيت لجميل وسرقه الفرزدق، فقال الفرزدق: "هل كانت أمك مرت بالبصرة؟" فقال كثير: "لا.. ولكن أبي كان نزيلاً لأمك بها".

- **المجدود:** ^{٢٧} وهو اشتهاً الآخذ بالمعنى دون المأخوذ منه، وهذا الشعر يسمى الشعر

المجدود "الاشتهاة" دون الأصل، من ذلك قول "مهلهل":

.... يوم اللقاء على القنا بحرام

فأخذه عنتره فأحسن فاشتهر بيته لبراعته:

فشككت بالرمح الطويل إهابه ليس الكريم على القنا بمحرم

^{٢٦} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٦٤.

^{٢٧} انظر: الحائمي، حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٦٧.

- الاشتراك في اللفظ: ^{٢٨} وقد اعتبر قوم هذا سرقةً، وليس بسرقةً، وإنما هي ألفاظ مشتركة محصورة يضطر إلى الموارد فيها، إذ اعتمد الشاعر القول في معناها، ومثال ذلك قول المنخل بن سبيع العنبري:

ألا قد أرى والله أن لست منكم وأن لستم مني وإن كنتم أهلي

وقول الآخر:

ألا قد أرى والله أني ميت ونخل مقيم سدرها أو بسالها

- تكافؤ المتبع والمبتدع في إحسانهما: ^{٢٩} وذلك لإجادتهما تناول المعنى، وفي ذلك دلالة على حسن الأخذ لديه، قال الأعشى:

إذا حاجة ولتك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق

فقال عمرو بن معدي كرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فتكافأ في هذين البيتين، سواء المتبع والمبتدع تكافؤ لا يخفى على من يعرف أسرار الكلام.

- نقل المعنى إلى غيره: ^{٣٠} حيث ينقل فيه المعنى عن وجهه الذي وجه له، واللفظ عن طريقه التي سلك به، فيها إلى غيره، وذلك صنعة راصة الكلام، وصاغة المعاني، وحذاق السراق، إخفاء للسرقة، والاحتذاء، وتورية عن الاتباع والاقتفاء. وأكثر ما يطوع النقل في المعاني خاصة، للمحدثين، لأنهم فتحوا من نوار الكلام ما كان هامداً، وأيقظوا من عيونه ما كان راقداً، وأجروا من معينه ما كان راكداً وأضحكوا من مباسمه ما كان قاطباً، وحلوا من أجياده ما كان عاطلاً. فمن أحسن النقل قول امرئ القيس في صفة الثقة بالفرس:

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيد نخطب

فنقل هذا المعنى ابن مقبل إلى صفة القدح فقال:

^{٢٨} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨.

^{٢٩} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٧٣.

^{٣٠} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٨٢.

إذا استخبرته من معد عصابة غدا ربه قبل المفيضين يقدح

فوصف ثقته بقوته، فأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

قد وثق القوم له بما طلب فهو إذا جلى لصيد واضطرب

• تكافؤ السابق والسارق في الإساءة والتقصير: ^{٣١} وذلك أن يعمد الشاعر إلى معنى

فاسد فيسرقه ويتابع صاحبه في الإساءة فيه، قال الفرزدق، وأساء الأمنية:

فياليتنا كنا بعيرين لا نجد على منهل إلا نشل ونقذف

فاسترقه كثير فقال:

ألا ليتنا يا عز كنا لدى غنى بعيرين نرعى في الفلاة ونعزب

قال أحمد بن يحيى: "وهذا مما كره من سوء الأمنية".

• من لطيف النظر والملاحظة: ^{٣٢} أي الإشارة إلى المعنى تلميحاً دون تصريح، إمعاناً في

إخفاء السرقة، قال أبو علي: وهذه ضروب دقيقة قلما ترد المدارك، من الإشارة إلى

المعنى، وإخفاء السر، فمن لطيف النظر والملاحظة قول "أوس بن حجر":

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

ينظر إليه قول الحطيئة نظراً خفياً حتى يكشف قناعه:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقوله "لا يذهب العرف بين الله والناس"، هو قول أوس بن حجر: "سأجزيك أو يجزيك عني

مثوب؛ لأن المثوب هو الله عز وجل، وفي بيت الحطيئة زيادة بذكر الناس.

• كشف المعنى وإبرازه بزيادة منه تزيده نصاعة وبراعة، ^{٣٣} قال امرؤ القيس:

كبكر المقناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل

فأخذ هذا المعنى ذو الرمة فكشفه، وأبرزه، وزاد فيه زيادة لطيفة فقال:

كحلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

^{٣١} انظر: الحاقمي، حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٨٣.

^{٣٢} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٦.

^{٣٣} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٩٠.

● **الالتقاط والتلفيق:**^{٣٤} أي ترقيع الألفاظ وتلفيقها واجتذاب الكلام من أبيات، حتى

ينظم بيتاً. ومن الالتقاط والترقيع قول ابن هرمة:

كأنك لم تسر بجنوب خلص ولم تلمم على الطلل المحيل

التقطه ولفقه من بيتين أحدها قول جرير:

كأنك لم تسر ببلاد نعم ولم تنظر بناظرة الحياما

فصدر بيت ابن هرمة، من صدر البيت، وعجزه من قول الكميت:

ألم تلمم على الطلل المحيل بفيد وما بكاؤك بالطلول

فما يصنع في بيت ابن هرمة مع هذين البيتين؟؟

● **نظم المنثور:**^{٣٥} أي نقل المعنى من النثر إلى الشعر، أو سرقة المواعظ والخطب والعبارات

البليغة ونظمها شعراً، يقول أبو علي: ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرقة، تلبسه اعتماداً على منثور "الكلام" دون منظومه، واستراقاً للألفاظ الموجزة، والفقر الشريفة، المواعظ الواقعة، والخطب البارعة. وقال محمد بن سلام قال معاوية بن أبي سفيان: "أكرم الشاعر من بر الوالدين قال ابن سلام فقدم على أبي أيوب المكي شاعر من واسط فمدحه، ونظم هذا الكلام فقال:

إن من بر والديك جميعاً إن توخى مسرة الشعراء

● **في اتساع المعنى والشركة:**^{٣٦} مما يشبه المأخوذ وليس بمأخوذ، ويدخل في باب المعاني

المشتركة بين الناس، فمن ذلك قول امرئ القيس:

إنا وإياهم وما بيننا كموضع الرود من الكاهل

● **فيما يشبه المأخوذ وليس بمأخوذ:**^{٣٧} بمعنى اقتراب المعنيين وتشابهما على غير سبيل

الاشتراك أو التوارد. ومن المشبه الذي ليس بمأخوذ قول نهمشل بن حري:

أقول وقد سافت لبوني تلاها كما ساف أعجاز التلاد الطرائف

^{٣٤} انظر: الحاقمي، حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٩٠.

^{٣٥} انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٢.

^{٣٦} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٩٥.

^{٣٧} انظر: نفسه، ج ٢، ص ٩٦.

الطرائف هنا: الإبل المستحدثة، فإذا أرسلت في الإبل التلاد تنكرتها، فتسوف أعجازها، ومعنى تسوف: تشتم.

خلاصة القول نجد أن الحاتمي امتاز في تقديمه للسرقات الشعرية أو التناس -حديثا- بكونه يبحث في الشعر بحثاً شمولياً عن المبدع والمتبع والسابق واللاحق، وذلك تركيزه على المصطلحات فيمن سبق إلى القول ومن لحق، ثم يصنف تلك المصطلحات على الشعراء، بحيث يضبط مواقعها في السرقات الشعرية، فهذا الضبط لم يقتصر على النزاع حول الشعراء فيما بينهم، وإنما وُضح لهم ولمختلف قضايا الخلاف والنزاع الذي يدور بين النقاد فيمن كان آخذاً أو مأخوذاً منه في شعر العربي، فضلاً عن ذلك وضح لنا الحاتمي أن السرقة أو وقوع ظاهرة التناس في العربية قديماً يتم في المعاني، كما يتم في الألفاظ المبتدعة، بحملها للمنى المجازي، وكذلك يتم في الالمام بكلام السابق، أو بملاحظة المعاني، ثم نسجها على غرارها.

ولهذا نلاحظ أن المسميات لمصطلح التناس أو التناصية قد تعددت عند الحاتمي بحسب الوقائع والحدث والطبيعة، ومن تلك المسميات الانتحال بحيث يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر وينسبها إلى نفسه، والانحال بأن يروي الشاعر قصيدة، ينحلها شاعراً آخر، أي ينسب الشاعر إلى غير قائله، وهناك أسماء أخرى نحو: الموارد والمرافدة، والاجتلاب وغيرها وقد ذكرناها في هذه الورقة. إذا فمصطلح التناس السائد حالياً والمسميات عند الحاتمي ما هي إلا عبارة عن بيان علاقة النصّ الحالي بنصوص أخرى تشابهه وتتفق معه في كثير من الأحيان، أو عبارة عن مجموعة النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ سواء كانت في ذاكرة الشاعر أو الكاتب أو القارئ، أم في الكتب، وهو النصّ الذي يستوعب عدداً من النصوص، والفسيفساء من الاقتباسات بحيث تنتشر وتتحوّل إلى نصوص جديدة متمركزة من خلال المعنى.

المصادر والمراجع

ابن رشيق، أبو علي الحسن. (١٩٨١). **العمدة في محاسن الشعر**. ط ٥. تحقيق: محمد محي

- الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم.(د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر،
البقاعي، محمد خير. (١٩٩٨). دراسات في النص والتناصية. حلب: مركز الإنماء الحضاري.
الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن. (١٩٧٩). حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر
الكتاني. بغداد: دار الرشيد للطباعة والنشر.
- الحشاب، وليد. (١٩٩٤). دراسات في تعدي النص. الاسكندرية: الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية.
- الزعي، أحمد. (٢٠٠٠). التناص نظريا وتطبيقاً. عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.
- عزام، محمد. (٢٠٠١). تجليات التناص في الشعر العربي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الفاقي، صبحي إبراهيم. (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية
على السور المحكية. ط١. ج١. القاهرة: دار قباء.
- فروخ، عمر. (١٩٨١). تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية. ط٤. بيروت: دار العلم
للملايين.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط. تحقيق مجمع اللغة العربية. ط٤. القاهرة:
مكتبة الشروق الدولية.
- مفتاح، محمد. (١٩٨٥). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. بيروت: دار التنوير.
- يقطين، سعيد. (٢٠٠١). انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي. ط٢.
الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.